مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

لورنزو ڤالا نشأته، حياته، عمله

(١٤٠٧-١٤٥٧م)

م.د. محمد محمد سعيد مهيدي الهيتي
المديرية العامة لتربية الانبار، العراق
m8alheet@gmail.com

المُستخلص:

ولد (لورينزو ڤالا Lorenzo Valla) في روما عام ١٤٠٧، وتلقى تعليمًا رفيعًا في البلاغة واللغة اللاتينية، وعُرف مفكرًا وإنسانيًا إيطاليًا دافع عن العودة إلى الأسلوب اللاتيني الكلاسيكي وتأثر بكتابات الخطيب والسياسي والأديب الروماني (شيشرون Cicero ١٠٦-٤٣ ق.م)، ورأى أن فهم اللغة بدقة هو مفتاح فهم التأريخ والفكر القديم.

ويُعدَّ كتابه المعنون: (عن الخير الحقيقي والزائف De voluptate)، الذي ناقش فيه قضايا أخلاقية وفلسفية، وكتاب (أناقة اللغة اللاتينية Elegantiae linguae Latinae)، الذي أصبح مرجعًا مهمًا في منهجية دراسة قواعد وأسلوب اللاتينية الكلاسيكية، إذ ترك بصمة في ذاكرة الأوساط العلمية الأوربية.

من جانبٍ آخر، مثلت رسالته التي أثبت فيها زيف وثيقة (هبة قسطنطين Donation of Constantine) المنسوبة إلى الإمبراطور الروماني (قسطنطين الأول Constantine I ٣٠٥-٣٣٧م) من أهم إنجازته ، حيث أعتمد التحليل اللغوي والتأريخي ليبرهن أن أسلوب الوثيقة ومصطلحاتها لا تعود إلى القرن الرابع الميلادي، بل إلى العصر الوسيط.

وعلى الرغم من جرأته في نقد بعض الممارسات الكنسية ، عُيّن لاحقًا كاتبًا رسوليًا في خدمة البابا (نيقولا الخامس Nicholas V ١٤٤٧- ١٤٥٥)، ما أكد مكانته العلمية. وأهميته شخصية أسهمت في ترسيخ منهج النقد العلمي للنصوص، إذ مهّدت أفكاره إلى ظهور حركة الإصلاح الديني ، والتطور اللاحق في الدراسات الإنسانية في أوربا.

الكلمات المُفتاحية:

لورنزو، ڤلا ، كتبه , نقده

تاريخ الاستلام: ٢/٣/ ٢٠٢٦ تاريخ القبول: ٢٩/٣/ ٢٠٢٦ تاريخ النشر: حزيران/ ٢٠٢٦

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

Lorenzo Valla: His Upbringing, Life, and Work

(1407-1457 CE)

Lecturer Dr. Mohammed Mohammed Saeed Mahdi Al-Hiti

General Directorate of Education in Anbar, Iraq

m8alheet@gmail.com

Abstract

Lorenzo Valla was born in Rome in 1407. He received a distinguished education in rhetoric and the Latin language and became known as an Italian humanist thinker who advocated a return to the classical Latin style. He was influenced by the writings of the Roman orator, politician, and writer Cicero (106-43 BCE). Valla believed that an accurate understanding of language was the key to understanding history and ancient thought.

His book On the True and False Good (De voluptate), in which he discussed ethical and philosophical issues, and his work Elegances of the Latin Language (Elegantiae linguae Latinae), which became an important reference in the methodology of studying the grammar and style of classical Latin, left a lasting mark on European scholarly circles.

On the other hand, one of his most important achievements was his treatise in which he proved the falsity of the document known as the Donation of Constantine, attributed to the Roman emperor Constantine I (305-337 CE). Valla relied on linguistic and historical analysis to demonstrate that the style and terminology of the document did not belong to the fourth century CE, but rather to the medieval period.

Despite his boldness in criticizing some ecclesiastical practices, he was later appointed as an apostolic secretary in the service of Pope Nicholas V (1447-1455), which confirmed his scholarly status. His importance lies in being a figure who contributed to establishing the method of scholarly criticism of texts. His ideas paved the way for the emergence of the Reformation movement and the later development of humanistic studies in Europe.

Keywords:

Lorenzo, Valla, his books, his criticism.

Received: 2/3 /2026 Accepted: 29/3/2026 Published: June /2026

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

المقدمة:

يُعدَّ لورينزو ڤالا (١٤٠٧– ١٤٥٧) من أبرز الشخصيات الفكرية المهمة في تاريخ أوربا بعامة ، وإيطاليا بخاصة, إذ مثل أحد رموز الإنسانية التي ساهمت في نقد الفكر التقليدي وإعادة إحياء التراث الكلاسيكي ، كما اشتهر بنقده الجريء للفلسفة المدرسية ، فضلاً عن مؤلفاته، ولاسِيَّما المتع والملذات، إلى جانب تميُّزه بدراسه النصوص القديمة التي كشفت زيف العديد من الوثائق الداعمة للسلطة الدينية ، ولعل من أبرزها وثيقة (هبة قسطنطين) التي منحت في الثلاثين من آذار ٣١٥ مـــ السلطة الزمنية المُطلقة للكنيسة الكاثوليكية على إيطاليا والقسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية.

وفي ضوءِ دعوته إلى الاعتماد على النصوص الأصلية والابتعاد عن القيود الفكرية التي فرضتها الفلسفة المدرسية، ترك فالا أثراً عميقًا في الفكر الأوربي، مّا جعله رائداً في تمهيد الطريق لظهور التفكير النقدي الحديث.

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

المبحث الأول

نشأته وحياته

نشأة لورنزو ڤالا وحياته (١٤٠٧ – ١٤٥٧)

يُعد ڤالا واحد من أهم النهضويين والإنسانيين في القرن الخامس عشر (صالح ، ٢٠٠٥، ص٩٥؛ Amold, 2011, p.44), ومن أبرز مؤرخي عصر النهضة ، ولد في روما عام ١٤٠٧ حتى أصبح قسيسًا (رمضان،١٩٩٧، ص٦٨), إذ ترعرع في وسط مثقف, وتأثر بأبيه (لوتشيافي ديلا ڤالا Luciave della Valla) المُتخصص بالقانون المدني، ومارس المحاماة في إحدى الدوائر التابعة للكرسي الرسولي – السُلطة الروحية والإدارية للكنيسة الكاثوليكية. وعندما أصبح لَّطِيمُ ولم يكن قد تجاوز سن الثالثة عشر، عاش في كنف أحد أعمامه وواصل دراسته وتعلم اللغتين اللاتينية والاغريقية على يد أحسن المعلمين في روما، وأبدى شغفه بهاتين اللغتين، وأصبح في سنِ السابعة والثلاثين من اللبقين فيها. كما إطلع على الآداب القديمة بعد أن تتلمذ على يد العالم اللغوي والمؤرخ الإيطالي (جيوفاني أوريسبا ١٣٧٦– ١٤٥٩) وأبدى فهمًا عميقًا ومعالجة دقيقة في دراسته للنصوص اللاتينية ، ما ساعده على الانخراط في سلك الكهنوت – إدارة الطقوس والخدمات الكنسية ، إذ تولى منصب كاهن عام ١٤٣١ (سعيدوني ، ٢٠٢٢، ص١٠).

وما لبث أن حصل ڤالا على الاستاذية في البلاغة عام (١٤٣١م) ، ودرَّس في أكثر من جامعة بوصفه إنساني , وخطابي , ومصلح , ومعلم, وخبير في فقه اللغة القديمة, إذ دعا إلى إصلاح اللغة والتعليم عن طريق الإفادة من الفكر الإنساني القديم, وإنماز بمعرفته الواسعة في مجال اللغويات اللاتينية واليونانية ، كما أجرى تحليلاً شاملاً لبعض وثائق الكنيسة, وأخضع فكر أرسطو للحوار والمناقشة, وكان هدفه الرئيس هو بلورة اتجاهات جديدة للفكر الفلسفي (نعمة ، ٢٠٢٢، ص١٠١).

أبدى لورنزو ڤالا إحباطه من منطق العصر الوسيط ، قائلًا: " ليس كل إنسان حجرًا ، وبعض الناس حيوانات ، إذن بعض الحيوانات ليست حجارة"، فكان اهتمامه بالمؤثرين من أهل الخطابة أكثر من اهتمامه بأشكال القياس المجردة والاصطناعية لدى أرسطو (جوتليب, ٢٠٠٠, ص٤٣٤). وعلى الرغم من كفاءة ڤالا العلمية والتزامه, فإنّه لم يرتق إلى منزلة الكاتب الرسولي التي كان يأمل ببلوغها بسبب مزاجه الحاد وعدم رضا البابا (مارتينو الخامس Martino V ١٤١٧–١٤٣١) عنه ، ما دفعه إلى مغادرة روما والاعتزال في موطن أسرته (بياتشنزا Piacenza – شمال إيطاليا)، ليعيش من عائدات ميراث حصل عليه من ربح أسرته, فأغناه ذلك عن الارتباط بالوظيفة, وأبعده عن مجتمع روما إبَّان الاضطرابات التي صاحبت انتخاب البابا (أوجينيو الرابع Eugenio IV ١٤٣١–١٤٤٧) (سعيدوني ، ٢٠٢٢، ص٢٧).

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

وفي أعقاب ذلك عمل بالتدريس فتولى كرسي البلاغة اللاتينية في جامعة (باڤيا Pavia – شمال إيطاليا), وانتقد بشدة سلوك بعض المشرعين ورجال القانون ومواقفهم, ولاسِيَّما القانوني (باترال), فكثر عدد مناوئيه, واضطر إلى مغادرة بافيا ليتجنب خصومه, وينجو من الإصابة بالطاعون الذي انتشر فيها, فقصد (ميلانو Milano– شمال إيطاليا) ومارس فيها التدريس عام ١٤٣٣ ومنها انتقل إلى (جنوة Genoa – شمال إيطاليا) ثم (فلورنسا Florence – شمال وسط إيطاليا) قبل أن تشمله رعاية ملك الأراغون (الفونسو الخامس Alfonso V ١٤١٦– ١٤٥٨)، الذي ترأس جيشه في حملة عسكرية للاستيلاء على مملكة (نابولي Napoli– جنوب إيطاليا), فنال ڤالا رعاية الملك الفونسو الخامس الذي نجح في الاستيلاء على نابولي, فاستقر في بلاطه عام ١٤٣٥ وصاحبه في أسفاره ، وشهد معه حروبه, ما مهَّد لڤالا الإندماج في مجتمع روما مجددًا رغم نفوره من المظاهر الدنيوية التي طغت على الحياة في مقر الكرسي الرسولي (سعيدوني,٢٠٢٢، ص٢٨).

وتجلّت وجهة نظر ڤالا عن عصر النهضة في قوله: " لقد كتب على الألف اللاتيني أن يهوى إلى الحضيض, إلى الصدأ والعفن والحق, إنّ للحكماء آراء متعددة في كيفية حدوث هذا, أنا لا أقر أيًا من هذه الآراء ولا أرفضها, لكني أجرؤ على القول فقط, بتجرد واتزان, إنّ الفنون التي تنتمي أكثر ما تنتمي للفنون الحرة, وهي فنون الرسم والنحت والنمذجة [تمثيل تبسيطي لفهم ظاهرة أو نظام حقيقي مُعقد] والعمارة, قد انحطت انحطاطًا كبيرًا ولفترة طويلة, بل كادت أن تختفي باختفاء الآداب ذاتها, لكنها في هذا العصر بعثت إلى الحياة من جديد, وازداد عدد الفنانين الجيدين أضعافًا وكذا رجال الأدب المتألقين اليوم مثل ليناردو دافنشي وميكيلانجيلو ودانتي الغيري, ويرتبط ذلك بانتشار الفكر الإنساني الذي دعى إليه مفكرون مثل لورنزو فالا". (موري, ١٩٦٣, ص٢٨٦)

وفي ضوء ما تقدم ، نظر فالا إلى عصر النهضة في زاويتي انتعاش الأدب اللاتيني الرصين والفنون التشكيلية, وأحد أسباب هذه الأهمية البالغة التي يضيفها رجال ذلك العصر على الاستعمال اللاتيني الأمثل الذي يكمن في حقيقة كونه اللسان المشترك للطبقة المثقفة, وهي تؤلف نسبة صغيرة جدًا من السكان في أيَّ بلد. وهناك سبب آخر أقل ظهورًا, هو أنّ الدول الأوربية الجديدة كانت في طور التكوين وبعضها, مثل فرنسا وانكلترا, ذات ملكية مركزية, والبعض الآخر مثل أغلب الدويلات الإيطالية, ذات مجتمعات تجارية مستقلة, وهذه الدول كانت بحاجة إلى طبقة إدارية محترفة, متمرسة جيدًا بالقانون الروماني الذي كان ما يزال نافذًا, على أن أبناء تلك الطبقة كان لهم أرباب المعرفة العلمانية الجديدة (موري,٢٠٠٣، ص٦).

جذبت تعاليم لرونزو في اللاتينية الانتباه بشكل تدريجي حتى تبوأ منصب في الفاتيكان ، وعدّ ذلك انتصار للنزعة الإنسانية على الأرثوذكسية وتقاليد الكنيسة، إذ هاجم البابوية في كتاباته وعدّها مصدر كل

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

الشـرور التي عانت منها إيطاليا آنذاك , ودعا إلى التشـكيك في الحاجة إلى طريقة الرهبانية في الحياة , ولذلك أُتهم بـــ (الهرطقة Heresy – الخروج عن عقيدة أو مُعتقدات راسخة ومُتعارف عليها) في محكمة التفتيش عام وفي عام ١٤٤٧ عمل لورنزو في خدمة البابا (نيقولا الخامس Nicolaus V ١٤٤٧–١٤٥٥) الذي عُرف بحبه وولعه بالمخطوطات ، فأرسل الباحثين إلى القسطنطينية وألمانيا وانكلترا لجلب المخطوطات اليونانية واللاتينية, وكان كريمًا في العطاء لكل من يترجم إلى اللاتينية أعمال المؤلفين اليونانيين ، بما في ذلك المؤرخ اليوناني (هيرودوت Herodotus ٤٨٤–٤٢٥ ق.مـــ) والمؤرخ والأديب والعسكري اليوناني (ثوسيديديس Thucydides ٤٦٠–٤٠٠ ق.مـــ)، وعدّ ذلك في روما انتصاراً للفكر الإنساني على التقاليد الدينية. على أن من أهم أعمالهُ ، الدراسة العلمية الموسومة وهي دراسة للأخلاق (الرواقية Stoicism – مدرسة فلسفية أسسها الفيلسوف اليوناني (زينون الكتيومي Zeno of Citium ٣٣٦– ٢٦٤ ق.مـــ) في أثينا عام ٣٠٠ ق.مـــ ، إذ ترى أن السعادة تكمن في إنسجام العقل مع الطبيعة وأن الفضيلة المتمثلة بالحكمة والعدالة والشجاعة والإعتدال هي الخير من جهة ، والرذيلة هي الشر من جهةٍ أُخرى)، و(الايقورية) و(الأبيقورية Epicureanism – نسبة إلى الفيلسوف اليوناني أبيقور Epicure (٣٤٠–٢٧٠ ق.مـــ) الداعية إلى اللذة الطبيعية والضرورية والنأي بالنفس عن الحياة السياسية بما يؤمن هدوءها وسكينتها ، وكتاب (المنطق حول زيف هبة قسطنطين) ليشكل أساس الإيمان العام في زيف النص الديني الشـهير (نعمة, ٢٠٢٢, ص١٠٢)، فكشـف أنّ هذه الوثيقة مزورة وترجع إلى القرن الثاني أو الثالث الميلادي (البهجى, ٢٠١٦, ص٢٠٦). وذلك لأنّ لغة الوثيقة لم تكن لغة الكتابة في مُستهل القرن الرابع بعد الميلاد (برنتن, ٢٠١٧, ص٢٧٧), بل تعود إلى أربعة قرون أو خمسة قرون بعد ذلك (لوغوف, ٢٠١٧, ص٣٤٠). لذلك فإنّ أهم انجاز قام به قالا هو دراسته وتحليله وبكل جرأة لوثيقة كنيسة مثلت السند القانوني والتاريخي الذي تستند إليه سلطة الكنيسة الدنيوية وهي وثيقة (هبة قسطنطين) (الأدهمي , ٢٠١, ص٢٤).

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

المبحث الثاني

كتبه ونقده للفلسفة المدرسية

كتاب المتع والملذات:

وهو أحد الكتب التي أثارت ضـــجة في الأوســـاط الكهنوتية اللاهوتية المتمزقة, إذ أثبت فيه لورنزو على أنّ للمسيحي له الحق في أن ينال نصيبه من متع العالم وملذاته دون أن يتخلى عن إيمانه ، وعرض كل ذلك على هيئة حوار فلسفي , ولكن اضطر بعد ذلك لتغيير عنوان الكتاب وشخصيات الحوار فأصـبح عنوانه (الخير المحصـن بدلًا من الشـهوات والملذات), الذي تصـدى فيه قالا إلى مسـألة الخير المحض. وبُغية توضيح مقصده بشكل أفضل فأنه أستعرض المسألة عن طريق ثلاثة أشخاص ، إذ جسد كل واحد منهم موقفًا مختلفًا, فالموقف الرواقي مثله شـخص اسـمه ليونار التأكد من صـحة الإسـم رجاءً, والموقف الأبيقوري مثله أنطوان, والموقف المسـيحي يمثله نيقولا، ودافع واحد من هؤلاء الثلاثة عن عقيدته تجاه مسألة الخير المحض وعلاقته بالمتع والملذات (صالح , ٢٠٠٥, ص٩٦).

فـــ(ليونار) وموقف الرواقي كان يرى أنّ الخير يتطابق مع الفضيلة الأخلاقية, ولكن الرواقيين كانوا يعتبرون الطبيعة والعناية الإلهية بمثابة الحقيقتين الكاملتين, أما ليونار كان يشـــتكي من عدائية الطبيعة وعدالتها اللتين جعلتا الفضـيلة نادرة وصـعبة جدًا, ومِنْ ثَمَّ فإنّ الإنسـان أصـبح يعاني من اليأس والشقاء، لأنّه وضـــع نصـــب عينه هدفًا أعلى من أجل تحقيقه (أي الفضـــيلة) ولكنه يجد نفســـه عاجزًا عن تحقيقه فيصاب بالإحباط.

أما أنطوان فدافع عن المذهب الأبيقوري المنغمس في الملذات وهاجم الموقف (صـــالح, ٢٠٠٥, ص٩٦) الرواقي المحجم عنها, إذ رأى أنّ الخير المحض لا يمثل في الفضـيلة الأخلاقية وإنما في المتعة المتطابقة مع المنفعة، فكل ما هو لذيذ نافع وخير. ثم يستعرض خيرات الثروة والجسد والنفس ويبرهن على أنّها جميعها تعود إلى متع الجسد والنفس, فالمتعة هي وحدها تتطابق مع الطبيعة, وعوضًا من عدَّها أدنى من مستوى الفضيلة فإنها تبدو قائدة لكل الفضائل, لأن كل متعة هي خير وفق أنطوان ثم يدافع عن المتع الحسـية ، وأما الفضـيلة الرواقية فلا معنى لها لأنّها خيال، وفي الختام رأى انطوان إنّ الإنسـان ليس إلّا حيوانًا, ولا حياة لـه بعد الموت, وينبغي لـه التمتع بالحياة, فلا ثواب ولا عقاب بعد الموت, وإنما الفناء الأبدي. أما نيقولا الذي يمثل الموقف المسيحي فأنهُ يرى أنّ انطوان يفكر بالحياة بعد الموت ، إذ أنّه يمزح ولا يعبر عن رأيه الحقيقي , فإنكار الآخرة مضـاد للعقيدة المسـيحية, ومن الغلط الكبير أن يتنزل الإنسـان إلى مرتبة الحيوان, فيجب أن نثني على القدماء اليونانيين من أجل عملهم لا من أجل أخلاقهم, فأخلاقهم لم تكن مسيحية, والعقيدة الرواقية غير متوافقة مع العقيدة المسـيحية ، لأنّها تحل الطبيعة محل الله , فهي

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

وثنية لا تعترف بالله وإنما بقوانين المادة والطبيعة فقط, فالمتعة نوعان، أما أرضية مباشرة , وأما سماوية مؤجلة, والأولى مصدر الرذائل, والثانية مصدر الفضائل (صالح, ٢٠٠٥, ص٩٧)، فينبغي أن نحرم أنفسنا من الأولى إذا ما أردنا أن نفوز بالثانية (صالح, ٢٠٠٥, ص٩٧)، إذ إنّ أرواحنا تصعد إلى السماء (أي إلى الجنة), وأما روح الإنسان ذي النية الفاسدة فتذهب إلى النار, وفي الجنة يمكننا أن نذوق المتعة الأبدية التي تتفوق على جميع المتع والملذات.

وفي الواقع أنّ بعضهم رأى في طروحات هؤلاء الأشخاص الثلاثة: ليونار, انطوان, نيقولا, خُدعة يختبئ وراءها لورنزو ڤالا لكي يموه موقفه, وكما لو أنّ مسيحية عصر النهضة أصبحت تقبل الحياة طيلة العصور الوسطى وتنزوي في أعماق الأديرة المقطوعة عن العالم.

القضاء والقدر عند ڤالا:

اهتم لورنزو ڤالا بمسألة القضاء والقدر, أي أنّ قضاء الله وقدرته وحرية الاختيار متروكة للإنسان (صالح, ٢٠٠٥, ص٩٨). وهو يطرح المسألة على النحو التالي: هل المعرفة الأسبقية لله وحرية الإرادة للبشرية متوافقتان أم متعارضتان؟ ويجيب قائلًا بأنّها متوافقتان, فالمعرفة الأسبقية أو المسبقة بشيء ما حتى من الله لا ينبغي أن تُعدَّ بمثابة السبب لوقوع هذا الحدث, فقد يعرف الله بإمكانية وقوع حدث ما من دون أن يقع, وأن بإمكانية حصول حدث ما لا تعني أنّه سيحصل بالضرورة, إذ قد يكون ممكنًا من دون أن يحصل ، وبذلك حل لورنزو ڤالا هذه المسألة الأولى.

على أن هناك مسألة ثانية أكثر صعوبة هي: إنّ إرادة الله وقدرته اللامحدودة (صالح, ٢٠٠٥, ص٩٨) هي سبب كل شيء بما فيها خلق الكائنات البشرية نفسها, وهكذا يظل السؤال الأولي مطروحًا: كيف يمكن لإرادة الله أن تتوافق مع حرية الاختيار للبشر إذا كنا نعلم أنّ الله هو الذي يتحكم بالإنسان في كل ما يفعله؟ ونجد مثالًا يبرهن على أنّ العناية الإلهية وحرية الاختيار للإنسان متوافقتان, ولكن لم يجب على السؤال فيما إذا كان قضاء الله وقدره يترك أي هامش حرية للإنسان, فيعترف ڤالا بأنّ الإنسان غير قادر على الإجابة فهذه مسألة تتجاوز حدود عقله وامكانياته (صالح, ٢٠٠٥, ص٩٩).

نقد ڤالا للفلسفة الدراسية:

في كتابه (إعادة صياغة الجدلية والفلسفة) المتوافرة في ثلاث نسخ بعناوين مختلفة قليلًا, إذ هاجم ڤالا ما يراه على أنّه أسس الفلسفة المدرسية الأرسطية والتخلص من كل ما يعتبره قاحلًا وعقيمًا في الفكر المدرسي وإعادة زراعة الأرض بوساطة رشها بالمياه العذبة للبلاغة والنحو, أيَّ أنّه وضع برنامجًا للإصلاح بدلًا من الدمار, إذ خُصص الكتاب الأول بشكل أساسي لفلسفة (الميتافيزيقيا Metaphysical– وصف ما وراء الطبيعة), وفصول عن الفلسفة الطبيعية والفلسفة الأخلاقية، وفصل مثير للجدل عن ركيزة المسيحية (الثالوث – وحدانية الله المتجلية في الأب والابن والروح القدس). أما الكتابين الثاني والثالث

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

الافتراضـات وأشـكال الجدل مثل القياس , فقد قسـم قالا الفئات إلى ثلاثة أسـس هي (الجوهر , الجودة, العمل)، ورأى قالا أنّ تلك الفئات تلخص الجوانب الحقيقية للأشياء, كما قلّل قالا المصطلحات المدرسية المقالية ودعا إلى ضرورة اختزال المصطلحات الستة التقليدية وهي (الكينونة, الشيء, واحد, صحيح, جيد, شـيء) إلى شـيء لأنّ كل شـيء موجود هو شـيء, كما أنّه لا يعارض ادخال كلمات جديدة لأشـياء غير معروفة في العصـور القديمة, فكان اهتمامه الرئيس في دراسـة عمل اللغة وكيفية ارتباطها بعالم الأشـياء اليومية, العالم الذي نراه ونحتبره (Stanford,1995, 4–5), كما توجه نقده للفلسـفة الطبيعية الأرسـطية ورفضـه للعديد من المبادئ الأساسية للفيزياء الأرسطية. فعلى سبيل المثال أنّ الحركة هي سبب الحرارة, وإنّ الجمع بين الحرارة والرطوبة وهو شـرط كافي لتوليد الحياة, وإنّ أهمية جدل قالا في هذه الفلسـفة لا تكمن في جودة حجمه بقدر ما تكمن في الميل النقدي الذي تكشـفه وإنّ اسـتنتاجات أرسـطو غالبًا ما لا تتوافق مع التجربة اليومية.

كما أنتقد قالا فلسـفة أرسـطو الطبيعة لأنّها وفقًا لرؤيته , تنتقص من قوة الله بعبارات جدلية قوية, إذ هاجم أرسـطو لأفكاره (المشـركة) في معادلته لله مع الطبيعة, ودعا إلى إعادة الله كخالق وحيد للسـماء والأرض, كما رفض فكره الله كمحرك أول للكون، لأنّ الحركة والراحة هي مصـطلحات لا ينبغي تطبيعها على الكائنات الروحية مثل الله والملائكة والأرواح (Stanford,1995, P. 6– 7). وعليه فإنّ مساهمات قالا في الدراسـات التاريخية والكلاسـيكية والكتابية سـاعدت على تمهيد الطريق لفقه اللغة النصـي والنقدي للفيلسـوف الهولندي (إيرازموس Erasmus١٤٦٦–١٥٤٦) والأجيال اللاحقة من الإنسـانيين، فإنّ نقده للفلسفة والتاريخ مهم إذ أدّت الدراسة الإنسانية للرواقية والابيقورية والشك والافلاطونية الحديثة إلى توسيع الأفق الفلسفي الإيمان بالحقيقة العالمية للفلسفة الأرسطية (Stanford,1995, P. 15).

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

المبحث الثالث

وثيقة هبة قسطنطين وكشف حقيقة تزويرها

هبة قسطنطين:

عُرفت هبة قسطنطين بأنّها وثيقة قيل أنّها ترجع إلى القرن الثاني أو الثالث الميلادي, واستند عليها البابوات في العصر الوسيط في صراعهم ضد الأباطرة حول حقهم في السلطة الزمنية (عمر, ١٩٩٢, ص٢٥). ووصفت بأنّها وثيقة مزورة دونها مستشارو البابا في القرن الثامن وادعو فيها أنّ الامبراطور الروماني قسطنطين فتح البابا سلطة دنيوية على كل القسم الغربي من الامبراطورية بما في ذلك إيطاليا, وما لبث أن حول البابوات تلك الوثيقة المختلفة إلى أساس قانوني في صراعهم المرير من أجل السلطة الدنيوية (أحمد, ١٩٧٩, ص٤٧).

في الثلاثين من آذار ٣١٥ مـــ ، وقَّع الامبراطور الروماني قسطنطين مرسومًا يهب فيه البابا سيلفستر الأول وخلفاءه من بعده, الهيمنة الأبدية على الجزء الغربي من الامبراطورية الرومانية, إذ احتفظ الباباوات بهذا المستند القيِّم وسخروه أداة دعائية فعالة كلما واجهوا معارضة من أمراء طامحين أو مدنًا مشاكسة أو فلاحين ثائرين. ومن جهتهم ، أولى الناس في أوربا (القروسطية Medievalism – دراسة العصر الوسيط ٤٧٦–١٥٠٠) احترامًا كبيراً للمراسيم الامبراطورية القديمة, ويؤمنون بأنه كلما ادخل المستند في القدم كلما زادت السلطة التي يمثلها, كما آمنوا بأنّ الملوك والأباطرة هم خلفاء الإله في الأرض, إذ حَظِيَ قسطنطين على وجه التحديد بالكثير من التبجيل لأنّه حول الامبراطورية الرومانية من عالمها الوثني إلى امبراطورية مسيحية (هراري, ٢٠١٦, ص١).

ومن وجهة نظر الأوربيين القروسطيين, فإنّ أيَّ خلاف بين مجلس بلدي معاصر ومرسوم صادر عن قسطنطين الكبير, لا بدّ أن يحسم بطاعة ذلك المستند العتيق وهكذا, وكلما واجه البابا معارضة سياسية لوح بالهبة القسطنطينية, مطالبًا بالطاعة التامة، إذ احتلت تلك الهبة مكانة مهمة في الدعاية البابوية وفي النظام السياسي القروسطي, رغم أنّها لم تكن تنجح في كل مرة, على أنها شملت ثلاثة أجزاء مختلفة هي:

١. حكم أخلاقي: على الناس أن يحترموا المراسيم الامبراطورية القديمة أكثر من الآراء الشعبية المعاصرة.
٢. وصف للواقع: في الثلاثين من آذار ٣١٥ مـــ منح الامبراطور قسطنطين الباباوات السيادة على أوربا.
٣. توجيه عملي: على الأوربيين في عام ٣١٥, إطاعة أوامر البابا (هراري, ٢٠١٦, ص٢).

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

ورويَّ أنّ الامبراطور قسطنطين الكبير لم يشف من مرض الجذام لذي أصابه إلّا بفضل صلوات البابا سلفيستر الأول فكافئهُ بإصداره قانون يسمح له باعتمار التاج واستعمال الصولجان, أسوةً بالأباطرة الرومان, ووفق تلك الرواية يكون الامبراطور قسطنطين قد منح الأساقفة وكبار رجال الدين في روما الامتيازات نفسها التي كان يتمتع بها شيوخ الامبراطورية القديمة. وحتى لا تتأثر سلطة البابا بوجود شخص الامبراطور في روما, غادر الامبراطور قسطنطين روما طواعيه وتركها للباباوات بوصفها ملكًا تابعًا للكرسي البابوي, وأختار لنفسه القسطنطينية عاصمة جديدة في الشرق، وبذلك آل حكم روما والمناطق المجاورة إلى الباباوات وبموجب تلك الهبة أصبح للبابا حق امتلاك السلطتين الزمنية والروحية (سعيدوني, ٢٠٢٢، ص٢٩)،.

وعلى الرغم من أنّ هذا العمل مضاد للمبدأ الانجيلي القائل " ما لقيصر لقيصر, وما لله لله" ، كما أنّه مُناقض لكلمة المسيح الشهيرة " مملكتي ليست من هذا العالم", إلّا أنّ بابوات روما تمتعوا بتلك السلطة الدنيوية وحرِصوا عليها أشد الحرص, إذ وصل بهم الأمر إلى حد خلع الملوك والأباطرة واخفاءهم, وممارسة السلطة السياسية بكل جبروت واقتدار, وخرجوا عن مبادئ الانجيل وانتهكوها بعد أن أغرتهم السلطة الدنيوية بكل متعها وأطايبها (صالح, ٢٠٠٥, ص٩٥)، فكانت تلك الهبة مقدسة لهم، لأنّ البابوات كانوا يقولون: "إنّ الامبراطور قسطنطين الكبير وهب فيها أراضي إيطاليا للكرسي البابوي, باعتبار أنّها إرث الرسول بطرس أخذه عن السيد المسيح مباشرة" (ياغي, ١٩٩٩, ص١٧٧).

كشف الوثيقة:

في عام ١٤٤١م نشر لورنزو ڤالا دراسة علمية أثبت فيها أنّ الهبة القسطنطية مزورة, إذ حلل أسلوب مستندها وبناؤه اللغوي, وما تضمنته من ألفاظ وعبارات ، واستعرض ما ضمه المستند من كلمات لم تكن معروفة في اللغة اللاتينية الشائعة في القران الرابع, مستنتجًا أنّ المستند قد زوّر بعد مضي نحو أربعمئة عام على وفاه قسطنطين. كما أنّ المستند مؤرخ في الثلاثين من آذار في العام الذي انتخب فيه قسطنطين قنصلًا للمرة الرابعة وجاليكانوس قنصلًا للمرة الأولى, إذ جرى السياق في الامبراطورية الرومانية أن ينتخب قنصلين اثنين كل عام, وأن تؤرخ المستندات بالإشارة إلى الأعوام التي قضوها في المنصب. ولسوء الحظ فإنّ السنة الرابعة لقسطنطين كانت في عام ٣١٥, بينما السنة الأولى لجاليكانوس لم تكن إلّا في عام ٣١٧, ولو أن هذا المستند البالغ الأهمية قد حرّر في عهد قسطنطين, لما كان بالإمكان أن يتضمن غلطاً فادحًا كهذا (هراري, ٢٠١٦, ص٢– ٣). فاستند لورنزوا على قواعد تثبت أنّ قسطنطين لم يمنح هذه الهبة (مخزوم ، ١٩٨٣، ص٦٩)، إذ قام رجال الكنيسة بتزييفها ووضع خاتم قسطنطين عليها في زمن يتأخر نحو خمسة قرون عن التاريخ الوارد بها (ياغي, ١٩٩٩, ص٦٩)، أيَّ في عهد ملك الفرنجة بديبين (بيبان القصير Pepin le Bref ٧٥٢– ٧٦٨) أو شاركان فعرف لورنزو الفارق بين

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

أسلوبها وأسلوب معاصري قسطنطين في الكتابة وفتح بذلك الباب لدراسة النصوص الدينية ونقدها لبيان الصحيح من الزور ونشره (محاسيس, ٢٠١٠, ص٣٢٠). وعلى أيَّ حال فإنّ عمل (صاحب الفكر الثاقب) لورنزو عدَّهُ المؤرخين (بداية للدراسات الانتقادية العلمية الحديثة) ففي ضوء التمحض النافذ والمقارنة الدقيقة وجد ڤالا أنّ اللاتينية التي دونت بها الوثيقة تختلف في نقاط حساسة عمّا كان شائعًا في عهد قسطنطين ، وإنّ بعض المدن التي وردت اسماؤها في (الهبة) لم تكن قد بُنيّت بعد في ذلك العهد (أحمد, ١٩٧٩, ص٤٨).

وعلى نحو عام أثبت ڤالا زيف تلك الوثيقة الشهيرة ، إذ سحب كل مشروعية دنيوية أو زمنية من تحت أقدام الكنيسة (صالح, ٢٠٠٥, ص٩٥)، وكانت أناقة تحليل ڤالا النصي مع هجومه القاسي على الكنيسة الرومانية وباباواتها, الذين رُبما " لم يكونوا يعرفون أنّ منحة قسطنطين مزورة وغير شرعية أو أنّهم زوروها" ، واتهم " بإهانة الدين المسيحي, وخلوا كل شيء بالقتل والكوارث والجرائم", فسخر ڤالا من اللغة اللاتينية غير الدقيقة المُستعملة في الوثيقة التي تنطوي على مفارقات تاريخية. وكان الفونسو مبتهجًا بدحضِ ڤالا لوثيقة (المنحة), وأكد برهانها في محاولته التي كللت بالنجاح في النهاية لتأمين مملكة نابولي رغم المعارضة الملك الفونسو الخامس وحمايته (سعيدوني, ص٣٠), فعين كاتبًا لدى الملك الذي كلفه بترجمة مؤلفات اغريقية, ومنحه شهادة تقر بمعرفة العلوم الدينية والمعارف الإنسانية, وأصبح محل تقدير المهمتين بالدراسات الاغريقية, ما مكنه من فتح مدرسة للبلاغة الاغريقية والبلاغة اللاتينية, وقد عينه البابا بنقولا كاتب بالدائرة الرسولية كما عمل كاتبًا لدى البابا نيكولا الخامس, وأسند إليه وظيفة كاهن قانوني في كنيسة القديس يوحنا اللتراني (سعيدوني, ٢٠٢٢، ص٣٠– ٣٢).

لم يكتف ڤالا بما توصل إليه ، بل استمر بإنتقادِ مذاهب فكرية وعقائديته كانت شائعة ومسلم بها, دعا أبناء عصره إلى إعادة النظر فيها, وأمام تلك الحقائق التي توصل إليها ڤالا إستناداً إلى التحليل والاستنتاج ، اضطرت الكنيسة في عهد البابا نيقولا الخامس إلى قبول ما توصل إليه هذا المؤرخ ، بل أنّها عينته في مركز رفع تقديرًا لعلمه ولمنهجه الجديد في البحث التاريخي (الأدهمي, ٢٠١٠, ص٢٤).

وفاته:

توفي لورينزو فالا سنة ١٤٥٧م في مدينة روما، في مرحلة كان قد بلغ فيها مكانة علمية مرموقة داخل الأوساط الكنسية والفكرية.

في سنواته الأخيرة، عمل فالا في خدمة البابا نيقولا الخامس، حيث انضم إلى الدوائر البابوية واستفاد من رعاية الكنيسة رغم انتقاداته السابقة لها. وقد ساعده هذا المنصب على الاستقرار في روما ومواصلة أبحاثه في اللغة اللاتينية والنقد النصي.

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

أما وفاته، فلم تكن نتيجة صراع أو حادث، بل جاءت بشكل طبيعي بعد حياة طويلة نسبيًا مليئة بالجدل العلمي. ومن اللافت أن فالا، الذي عُرف بجرأته في نقد الكنيسة—خصوصًا في إثباته زيف وثيقة "هبة قسطنطين" انتهى به المطاف داخل المؤسسة الكنسية نفسها، وهو ما يعكس التحول الفكري والسياسي في عصر النهضة.

وقد شكّل موته نهاية مرحلة مهمة من تطور الفكر الإنساني، إذ ترك تأثيرًا عميقًا في منهج النقد التاريخي واللغوي، ومهّد الطريق لعلماء ومفكرين جاءوا بعده. (Livingstone, ٢٠٠٥)

الخاتمة:

في ضوء ما تقدم ، يُعدَّ لورنزو فالا من أبرز المفكرين في عصر النهضة الإيطالية وأحد رواد النقد الفلسفي واللغوي في أوربا, تميز بقدرته الفائقة على تحليل النصوص القديمة والتشكيك في صحة بعض الوثائق التاريخية المهمة مثل (وثيقة قسطنطين) التي أثبت زيفها عن طريق احداث النقد اللغوي والتاريخي ، كما أسهمت أفكاره بشكل كبير في تعزيز روح الشك والتفكير النقدي الذي مهَّد الطريق للاصلاحات الفكرية والدينية لاحقًا ، مّا جعله من أبرز الشخصيات المؤثرة في تشكيل النهضة الأوربية.

المصادر العربية والمعربة: ضرورة

١. اسماعيل أحمد محمد ياغي. (١٩٩٩). مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه. الرياض.

٢. انتوني جوتليب. (٢٠٠٠). حلم العقل تاريخ الفلسفة في عصر اليونان إلى عصر النهضة, ترجمة محمد طلبة نصار, يورك هاوس, المملكة المتحدة.

٣. ايناس حسني البهجى. (٢٠١٦). تاريخ أوربا في العصور الوسطى. عمان: مركز الكتاب الاكاديمي.

٤. بيتر وليذا موري.(٢٠٠٣)، فن عصر النهضة. ترجمة: فخري خليل.

٥. جاك لوغوف. (٢٠١٧). التاريخ والذاكرة. ترجمة: جمال شحيد.

٦. جيري بروتون. عصر النهضة مقدمة قصيرة جدًا. ترجمة: إبراهيم البيلي محروس.

٧. الشيخ كامل محمد محمد عويضة. انسلم بين الحضارة الأوربية والعصر الوسيط. بيروت: دار الكتب العلمية.

٨. عبد العظيم رمضان. (١٩٩٧). تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث (ج ١). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٩. عمر عبد العزيز عمر. (١٩٩٢). دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث. اسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

١٠. كرين برنتن. (٢٠١٧). أفكار ورجال قصة الفكر العربية. ترجمة: محمود محمود. المملكة المتحدة: هاي ستريت.

١١. كمال مظهر أحمد ، (١٩٧٩). منشورات وزارة الثقافة والفنون. العراق.

١٢. محمد مخزوم ، (١٩٨٣)، مدخل لدراسة التاريخ الأوربي (عصر النهضة). دار الكتاب اللبنانية.

١٣. محمد مظفر الأدهمي. (٢٠١١). تاريخ أوربا الحديث عصر النهضة– الثورة الفرنسية القرون ١٦– ١٨ ميلادية. ط١.

١٤. ناصر الدين سعيدوني.(٢٠٢٢). الفكر التاريخي الأوربي من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر من لورنزو فالا إلى كوندورسيه. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

١٥. نجاة سليم محاسيس. (٢٠١٠). مفاتيح علم التاريخ. دار زهران للنشر والتوزيع.

١٦. هاشم صالح. (٢٠٠٥). مدخل إلى التنوير الأوربي. ط١. بيروت: دار الطليعة.

١٧. يوفال نوح هراري. (٢٠١٦). الإنسان الإله تاريخ وجيز للمستقبل. ترجمة: حمد سنان وصالح علي الفلاحي. أبو ظبي.

١٨. يونس عباس نعمة. (٢٠٢٢). أثر الحركة الإنسانية في العصور الوسطى (المجلد ١٢). العدد ٣. مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية.

المصادر الأجنبية:

1. Jonathan Arnold. (2011). The Great Humanists, I.B. Tauris and Co Ltd., London.

Edward N. Zalta al et al., (1995), Stanford Encyclopedia of philosophy, Stanford University.موسوعة ستانفورد للفلسفة

3. Livingstone . F. L. Cross & E. A. The Oxford Dictionary of the Christian Church Oxford University Press, 2005.
4. **Arnold, J.** (2011). The Great Humanists. I.B. Tauris.
5. **Burckhardt, J.** (1860). The Civilization of the Renaissance in Italy.
6. **Cismas, I.** (2014). Religious Actors and International Law. Oxford University Press.
7. **Kelly, J. N. D.** (1986). The Oxford Dictionary of Popes. Oxford University Press.
8. **Ryder, A.** (1990). Alfonso the Magnanimous: King of Aragon, Naples and Sicily, 1396–1458. Oxford University Press.
9. **Shaw, C.** (1993). The Renaissance Papacy. Routledge.
10. **Stanford Encyclopedia of Philosophy**. (2024). Humanism Stanford University.